

ميشال سليمان

مسائيات جندي في الجولان

« ... فيما الإعصار يقلب أوراق الفصل الآخر
من سفر الدم

وتموت الاعشاب فلا يرثيها اللون الاخضر
حملت أجفان الريح
رقبما مكتوبا بالدم ... »

٧ تشرين الاول

وقعت شمس على سباتي ، فبدأت أكتب ، بل ارسم :
شجرا ، أرضاً ضاعت حدودها
ريحا فقدت سبب وجودها على خريطة الذائبة كالمح
ورحت أدب فوق ما رسمت
كان الحياة قد انشلت حولي
وكان الخريطة مقبرة حبلتي بالحرائق
لكن العربة التي أفلتني كانت الدليل على اني فعلا
في محطة من خريطة التي بارحها الجميع فتوقف قلبها
وخيل لي ان الدرب التي رسمت على خريطة
حية تحملني صوب العدم في دهشتي الصامتة .
هل أنا الرجل الوحيد الباقي في هذا المدى القريب ؟
أنا الطفل المحاول اللعب بالتراب المشتعل ؟
ولم أنا هنا ، بعيدا عن أرض جثوري ؟
روحي تشتعل ...

٨ تشرين الاول

مزقت الصمت طلقة .
العشب لا يرى اخضراره يحترق .
رأيت الطريق التي رسمت
تمشي في الظلمة عبر الموت اليومي

ورأيت دبابات العدو تسد مجراها
صعدت دمائي الى رأسي . وحين اخذت قنبلة من وسطي ،
ورفعت رأسي لارى مسراها ، أبصرت سيلا
من القنابل تنطلق من حولي .
انفقد الفبار حزما كثيفة متداخلة . سمعت صياحا
مذعورا يتعد حتى يتلعه الصدى ، وصلبلا مجنونا يخرج
من أشداق شياطين الارض
هل أتقدم ؟

تقدمت شاعرا بفقدان وزني ، عبر الصباب الجائع لطمع الدم .
عضلاتي لم تتشنج . قدمي تدق ابواب الجدار الضبابي من حولي .
قشرة الليل تتفصد من ضغط الجو .
وأمد يدي للظلمة

أهجم
أتردد
أتوقف

أتابع هجومي كاني اسمّر الليل بجلد النجوم الشفاف
لم أتراجع
كانت أقدام رفاقي
توقظ
تفتح ثغرات
في صدر الصباب الجائع لطمع الدم ... وفي صدر الاعداء ...

٩ تشرين الاول

حتى الان لم أنم
فيما كان الصباح منشغلا بطرح شباك أشعته
رأيت العدو في البعيد مهتما بجمع شتاته ووحداته
طويت الطريق ورأني مسرعا
نحن في أرضنا . أجل في أرضنا .
أرضنا هذه . وجدتها وكانت ضائعة . كانت سليبا .
الحب لا يكفي لكي أسميها ، وأدفعها في صورة الحلم البعيد .
رأيتك يا أرضنا الطيبة . نتوء جبينك
تخرج من قاعدتها الجامدة . تخرج من رتبة النعاس اليومي .
تعاقد الايدي الباحثة عنك .
لن أبارحك بعد اليوم . سوف تكونين جلدي

الذي غادرتني في زمن البياس والاعتراب . الماء عزيز في
هذه اللحظة . ولكن
لا بأس ... جرعة تكفي . واحتفظ بالباقي .
قلبي يهفو على بردى .

١٠ تشرين الاول

ها نحن . وها أنت في عناق الدم والصدور .
الحب أعظم صوت ساعة يتعاقب الانسان وأرضه
تحت الشمس ، ليخلقا حياة تبسم فيها الاغنية ،
ويقهقه الخبز ، وترقص الأرجل .
مرت فوقني نعله .
أز جناحها
خلتنيما طياره
قلت في سري : ترى هل هي تسمى الى رزقها ؟
أم هي مثلي في معركة مع العدو الذي حرق أزهارها
وحرمها الرحيق ؟ ليتها كذلك .
ولكن ، مالي وللنحل .
عيني اليمنى تؤلني
اقتحمها غبار اليوم . وهي بلا نوم .
حان الوقت . فلنتقدم .

١٣ تشرين الاول

حفرة لا تقي نار العدو ، وأرصده .
كان على مقربة من موقعنا . قنبلتي انطلقت من يدي .
تبعثها يدي . سبقتها لكي لا تخيب . أتبعها رفاقي
برشاش . رد العدو بكثافة . فذفتني ناره بجرف ترابي .
لم يفم علي . لكنني شعرت بخيوط عضلاتي تنحل .
انبطحت في حفرة قديفة ، لافيق متعورا ، على خيالات
ووقع اقدام رفاقي تدق الارض من حولي .
نهضت ، ومشيت .
يظهر ان العدو خارت قواه . لا رصاص من صوبه . هل
ولى الابدان ؟ هل أبيد ؟ ... أحد أمرين .
اني وأنا أكتب في أعلى هضبة
أرى جسد الجولان مثل البحر الذي ابتعد عنه لأزورده .
وأرى وجهه مكللا بالخبز والفضب
مدرا بعظام الشهداء
مسورا بالبيارق ، بأسماء المواليد القادمين ، بضجيج
العجلات والمدافع الداخلة في حلمه ، والتي ترفع نجومه
الخفية ، وترفع تماثيله المتحركة ، وبصمات الاكف التي
ترويه بالعرق والدم
ونمحو آثار الجوع عن احلامه الحلى بالبروق والمطر ...

لن أكتب شيئا هذا اليوم

يبدو الامر كذلك .

لكن ...

(طائرة عدوة قطعت جبل ذاكرتي) زحفت في خندق

توقفت اثناء الزحف مرارا ، لارفع قنابلي من ان تدق

الارض

(طائرة عدوة تنز فوقي مسرعة) دوت فذائف يرقية .

ارتسمت في الجو دوائر دخان اسود . تمددت . تشابكت .

وانقضت . وسمعت على مقربة مني ضجة تنقلب على

الارض . وسمعت تأوها . رفعت رأسي . رأيت رفاقي

يتقلب على التراب . يا الله . رأيت روحه تخرج من فمه

زاعقة . اجبرته على الخروج شظية . هل ابكي ؟ هل انتحب ؟

كان قريبا لروحي . كنا ننام في مهجع واحد . آه . مسكين .

قص علي ذات ليلة قصة عيين سوداوين ، وخصر ، وجبتي

كرز سماوي . حبه الوحيد . عيناه تحدفان بي . تقولان :

خذني . لا تتركني وحيدا . اني أقاتل معكم . لم يكن لسي

وقت لابيكي . قبلته من شفثيه . نلق على شفثي دم تدفق

منهما . أخذت بندقيته . ومشيت . وظل يقساائل ميتا ،

بيسدي ...

١٤ تشرين الاول

وجه امي ... وجه أمتي

ترأى لي في هذه اللحظات . عند الغياب . الشمس أراها

من مكمني بين الاذغال والصخور ، رغيفا احمر هاربا وراء

الشفق الليلي . اطلقت عيني في اثره تلتقطه . تعيده اليينا

خبزا كثيرا .

خبزا ؟

قلت : قنابل . قلت : رصاص . قلت : حجار .

ليس بالخبز وحده ... بل الرصاص هو الخبز الاكبر اليوم .

نعجنه ، ونظمه للعدو . نعيش على عجنه واطعامه .

كم الساعة الآن ؟

١٢ تشرين الاول

اليوم ...

ثلاث مرات دفنت . وكنت في كل مرة أنهض من القبر .

صاروخ جوي ، في المرة الاولى ، فجر الارض حولي وغمرني

بالتراب والدخان . فقدت وعيي . وعندما فتحت عيني ،

خيل لي انني ارى الارض لأول مرة . في المرة الثانية ، لظمت

ما لهذه الطبقات والحكومات والجماهير من علاقة مباشرة بعموم التحولات الاجتماعية ، وبمبادئ صيرورتها الواعية واللاواعية على السواء .

وانما تكون الملحن على قدر الهمم ، فان نهضت بها ، حملتها على العمل لصالحها . قلت : لصالح الجماهير الناهدة الى غد افضل . ومهما يكن من امر التحول هذا ، فانه لا بد سائر صعودا ، وان بنسبة قليلة . الا اننا درجة في السلم المفضي الى الغاية المنشودة .

من هنا تبدو خطورة مسؤوليات العاملين على جبهة الادب والفكر والفن . خاصة عندما يكون شعبيهم امتهم تخوض غمار حرب مصيرية ، كالتى نخوضها اليوم ، ضد عدو شرس متفطرس يشكل جزءا مسن الامبريالية العالمية التي تسعى جهدها في الكيد والتآمر على الشعوب المناضلة من اجل حريتها وسيادتها وتقرير مصيرها بذاتها .

ومن عجب ان ينطرح السؤال عن مهمة الاديب ، كلما عصفت بمجتمعنا عاصفة سياسية ، او ظلمت ظاهرة اجتماعية . كانما الاديب ، في اذهان الناس ، يعيش بالضرورة خارج نطاق الواقع ، او على مارجة منه في ادنى احتمال .

وعندي ، ان الاديب والشاعر والفنان ، لا مناص لهم وهم العدسة التي ترصد الواقع وترافق حركاته ، من ان يكونوا في قلب كل حدث ، وان يعبروا عنه . انما يكون وعيهم ومعاناتهم بمقدار ما يخزنون من عوامل التعبير التي تفني بالممارسة والتعمق في درس جزئيات الواقع الاجتماعي وكيانه .

وتزيد مسؤولية هؤلاء الذين اوتوا من رهافة الحس مبلغا يجعلهم يرتشون لادنى هزة تحصل ، في الظروف العصبية التي يمر بها شعبيهم ووطنهم وامتهم ، بحيث يترتب عليهم ان يكونوا جزءا مندعما بتراب الوطن ودم شعبيهم ولحمهم . كما يترتب عليهم ان يكونوا ، بالتالي ، التمثل الاتم لما يقوم به الشعب من اعمال ، وما يعتلج في صدره من آمال وتطلعات .

ولهذا فان الاديب العربي مسؤول بالدرجة الاولى اليوم ، فيما الجيش والشعب العربي في كل من سورية ومصر والعراق وسواها يقف هذه الوقفة البطولية لاعادة الكرامة العربية التي اهيئت . وقد عادت فعلا بفعل الصمود والتضحية .

وتكمن مسؤوليته في وجوب قيامه بالخطوة « الاولى السى الامام » بحيث يضع كل مواهبه في خدمة القضية التي يناضل الشعب من اجلها . ويحكم انتمائه لهذا الشعب عليه ان يساعده في مسيرته الدامية ، على الرؤية الواضحة ، ودعوته الى العمل ، واستخلاص التجارب من هذا النشاط كله ، بحيث تصبح بين الاديب وبين الشعب وحدة تامة ، فيأخذ الادب والفن مركزا قتاليا في النضال الدائر بين الشعب وبين اعدائه .

لقد استطاعت الصهيونية ، بما لها من سيطرة على العديد من مراكز الاعلام العالمية ، وما لها من نفوذ مالي واقتصادي ، ان تضلل الكثير من الاوساط السياسية والثقافية ، لتكسب عطفها ومساندتها . ومن واجبات الاديب العربي في هذه الظروف الحرجة ان ينتبه الى هذه العملية البالفة الخطورة التي طالت ، وان يفضح مراميها ، ويكشف اهدافها العنوانية والاجرامية ، وينقذ تلك الاوساط من شبكة الزيف والعهر السياسي ، ويجعلها بالتالي مساندة لنا في نضالنا من اجل استعادة الارض والكرامة ، وانقاذ الحرية المهانة .

فاذا ما نهض الاديب العربي اليوم لهذه المهمات وقام بها ، يكون قد اسهم فعلا ، مع المقاتلين في جبهات القتال ، في التمهيد للنصر وحراره . ويكون بالتالي قد بدأ يعجن الخمير الذي يبشر بالفد المرتجى .

الانوار

٢ تشرين الثاني

كان عقرب الدقائق في ساعتى متوقفا . فيما عقرب الساعات يشير الى السابعة مساء .

ترى اختل جهاز ساعتى ؟

أم المدى اختصر الوقت ؟

أم هذا على الافل ما تؤكده قدماي المنهكتان من الففز والانبطاح ثم الركض ؟

ومسحت القبار عن جفوني . ونمت . او هكذا خيل لي . لان خيوط الدم المتدفق من فم رفيقي بالامس شد جفوني ...

يدعوني ...

افقت مذعورا على الدوي والازيز من جديد ...

عيني تحتضن قاسيون !

١٥ تشرين الاول

هناك أيام طويلة ، يحس فيها المرء كأنه يخون نداء الصباح . ومع ذلك ، أفقت لارى الفجر الطالع في اثر الليل . وأرى أرضنا بما فيها ، تشد أزره . ووجدتني طواعية أدمج في موكب النور .

قلت : سلام يا صخرنا من صدورنا صلابته وثباته .

سلام يا قبرة تغرد ، وتذهب جناحها بخيوط الفجر

لتحجب من الشمس قدر حجمها عن العدو .

سلام يا عقباننا تشعد مناقبها على حطام الفانتوم .

سلام يا نبالا رأسها في صدور الأعداء وعقبها في أيدينا .

سلام يا رفاق المعركة في كل معركة ، وبكل خندق ،

وعلى كل قمة ، وفي كل ساح .

سلام يا كل حبة رمل تشتعل حريقة تحت قدم عدو

سلام يا ارض اصابتنا المغرزة فيها حتى العظم

سلام يا سنابل القمح المحروقة بدم الفزاة .

اليوم ، حقا ، رفعت رأسي فوق القبار المتصاعد من أرضنا ، يسد على الأعداء وجوه الآفاق . قلت لرصاص العدو :

هنا انتحر (في صدري) . وقلت للعدو التسربل بكفان الهزيمة والعار :

قف . اسمع . مع كل ضوء الشرف المتمرد الذي لن يركع سوف ترى نجمتك مصنوعة بحجم الهزيمة .

كل ترابة في عالمك ستكون حائط مبكى ، وصرير أسنان .

وانين الخزي الابدي .

وغدا ... لن تكون اليوم الذي يلي لحظة انفرازي في عيني . قد تكون كل العمر الذي نريده بناية للقيمة العليا : حريتنا !

« ... حملت أجفان الريح

رقيفا مكتوبا بالدم

فيما الأعصار يقلب

آخر فصل في سفر الدم

والشجر المحروق

يجن غصونا

حبلى باللون الاخضر » .

٢٢ تشرين الاول

البلاغ

عدسة الاديب وعدسة الواقع

عندما تمتحن مراحل التاريخ ، أمة ما ، بالبلاء ، تلقي على طبقاتها وحكوماتها وجماهيرها مسؤوليات ومهمات جساما ، بمقدار

أعمدة عواصم الفضب

الى الصامدين في خطوط النار

في ساعات الفجار والدم

في رحلة المصير التي يفقد فيها الموت جبينه ويده

نسمع دقائق الساعة تتوالى ، متدافعة ، كأنها الشلال في

انصبابه

وفي لحظات العبور المطبقة على العزلة

نبحر ارواح الشهداء ، عيوننا تزرع السنان في الحراب

نحن الذين في هذه الفترة ، حيث يجري الوقت سائلا كعرق

جياهمكم

لا نستطيع ان نتشبهت بصور الوردة التي رسمناها ذات يوم

لانها تداعت . لاننا رغبنا عنها .

ولان تويجات زهرة النار

المتفتحة بين ايديكم

وتحت أرجلكم

هي التي تشرئب من الارض وحيدة .

لكنها ليست وحدها

كما انكم لستم وحدكم

ومعكم قلوب الذين لم يحملوا السلاح بعد

وأمنيات الجرحى

وأغاني الاطفال الذين ترتفع أناملهم فوق هدير الطائرات

ومناديل الفتيات اللواتي لم تنسهن روائح السلاح الذهبي

والوطن الكبير بأسره معكم .

معكم القمح الشامخ برغم الرياح السموم

معكم الجداول التي غليانها من حرارة عروقكم

معكم النخيل ، سعفا ، سيوفا ملئت الركون الى اغمادها

معكم عقبان القمم ، اعداء الافاهي
معكم الدروب التي تنام في عيون الاطفال ، وترفض نحوكم
اسرع من الحلم .
وفيما انتم تفنون امام سجلات الخضوع والعار
وتمزقونها

نرى اجسادكم كيف تنزلق فسي الضباب الاحمر ، في بحر
النار والبارود

نرى اجسادكم في وحل الظلمات ، امواج غضب ، تكسب الهزيمة
نرى اجسادكم في الفجر ، طلائع اشعة تدمر ليلا خيل انه
لن ينتهي .

تراكم سكان الضجة التي حسبها الناس سوائف زمن ارتفاع
الاسعار وانخفاضها

فيما انتم ، الآن ، تتكلمون عن حرقنا اليومية بلقة الرصاص
وبكم يتعلق كل شي

من مثل الاطفال الذين ينبجسون الليلة ، طرايا ، من بطون
امهاتهم

من مثل البسمات التي لم تنعم ببيكاره المحبة

من مثل عمارات الفجر ، المقدودة احجارها من مقالع العرق
الخلاص

من كبرياء الانسان ...

انساننا الباحث عن كلمة جديدة لا ينتهي عملها

عن عظمة ضوء القناديل

كي لا يتسرب الظل كالمهريين الطامعين بشرة وقتية

من عظمة محطة اقلاعكم

صوب الحشرات المحترفة صناعة الحلم الثوري .

وأنتم ، بعد ، اعمدة عواصم الخبز المقاتل ، والحرف الجارح

وأنتم أسوار عواصم الفضب والثورة .

البلاغ

٥ تشرين الثاني

كتب عقائدية وفكرية

من منشورات دار الاداب

ريجي دوبريه	دفاعا عن الثورة	محمود امين العالم	الثقافة والثورة
ستوكلي كارمايكل	القوة السوداء	محمود امين العالم	ماركيوز اوفلسفة الطريق المسدود
ارنولد توينبي	الوحدة العربية آتية	غسان كنفاني	ادب المقاومة في فلسطين المحتلة
جاك دومال - ماري لوروا	التحدي الصهيوني	جيرري روبين	هيا الى الثورة
» »	جمال عبدالناصر من حصار الفالوجة	رايموت رايش	النشاط الجنسي وصراع الطبقات
رولان غوشيه	الارهابيون والفدائيون	ميكائيل هارنفتون	الوجه الاخر لامريكا
احمد بهاءالدين	اقتراح دولة فلسطين	الجنرال جياب	حرب المقاومة الشعبية
نوربير تاببيرو	الكواكبي المفكر الثائر	الجنرال جياب	قصة المقاومة الفيتنامية
ترجمة ريمون نشاطي	عاجلا او آجلا ستزول اسرائيل	دوغلاس هايد	الكفاح المسلح
		ريجي دوبريه	ثورة في الثورة

دار الاداب ص ب ٤١٢٣ بيروت